كافل اليتيم
في الجنة

تأليف
صلاح نجيب الدق
(رئيس اللجنة العلمية)

مراجعة وتقديم
الدكتور/ ممدوح محمد أحمد
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
(جامعة الأزهر)

إهـداء

روى البخاريُّ عن سهل بن سعد قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا . (البخاري حديث ٥٣٠٤)

* فإلى أصحاب الأموال الذين يبحثون عن أعمال صالحة تقربهم إلى الله تعالى ، فيسعدون في حياتهم الدنيا ويجدون بركة الله تعالى في صحتهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم ، ويفوزون برضوان الله تعالى في الآخرة ويدخلون جنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أُهدي هذه الرسالة .

صلاح نجيب الدق
٠١٠٠٩٧٨٣٧١٦

بسم الله الرحمن الرحيم
التقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعملنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد :

فإن الإحسان إلي اليتيم خُلُق عظيم دعت إليه الشريعة وتواردت نصوص القرآن والسنة تأمر به وترغب فيه ، وتحذر من الإساءة إلي اليتامى ، فإن اليتيم متى فقد من يقود رعايته ويسد حاجته أصبح ساعد هَدْمٍ وأداة تخريب وإفساد في المجتمع ، لذلك أمر الإسلام بإحسان معاملته والقيام على أمره وكفالته ، والإحسان إليه يكون من مجموع من أمرين :

١ـ إيصال النفع له بإطعام وكسوته ، وتأديبه وتربيته وتنميه ماله والمحافظة عليه .

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ . (١)

روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ ثُمَّ أُتِيَ بِفَرَسٍ عُرْيٍ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ بِهِ وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ نَسْعَى خَلْفَهُ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ أَوْ مُدَلًّى فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ (٢)

---

(١) (البخاري حديث ٦٠٠٧)
(٢) (مسلم حديث ٩٦٥)

قال النووي : قَوْله ﷺ: (كَمْ مِنْ عِـذْق مُعَلَّـق فِي الْجَنَّـة لِأَبِي الدَّحْـدَاح) قَالُوا : سَبَبه أَنَّ يَتِيمًا خَاصَمَ أَبَا لُبَابَة فِي نَخْلَة فَبَكَى الْغُلَام ؛ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ لَهُ : " أَعْطِهِ إِيَّاهَا وَلَك بِهَا عِذْق فِي الْجَنَّة " ، فَقَـالَ : لَا ، فَسَـمِعَ بِـذَلِكَ أَبُو الدَّحْدَاح ، فَاشْتَرَاهَا مِنْ أَبِي لُبَابَة بِحَدِيقَةٍ لَهُ ، ثُمَّ قَـالَ لِلنَّبِـيِّ ﷺ : أَلِيَ بِهَـا عِـذْقٌ إِنْ أَعْطَيْتهَـا الْيَتِـيم ؟ قَـالَ : " نَعَـمْ " ، فَقَـالَ النَّبِـيّ ﷺ : (كَمْ عِذْق مُعَلَّق فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح) [١]

(٢) حبس الشر ومنع الأذى عنه :

قال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَر)(الضحى ٩)

(أي لا تحقره ولا تغلبه على ماله لضعفه .)

روى ابنُ ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِـيمِ وَالْمَـرْأَةِ) (أى ألحق الإثم بمن ضيع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً شديداً). [٢]

---

(١) (**مسلم بشرح النووي جـ٧ صـ٣٣ : ٣٤**)

(٢) (**حديث حسن**) (**صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢٩٦٧**)

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)(النساء : ١٠) وهذه رسالة مباركة في هذا الميدان لأخينا الشيخ / **صلاح نجيب الدق** وهي عظيمة النفع كثيرة الفائدة ، التقط فيها المؤلف من كل بستان زهرة ، وضمنها فوائد ودُرر فجاءت شافية كافية للغرض الذي من أجله كُتبت ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين ... اللهم آمين .

كتبه

الدكتور/ **ممدوح محمد أحمد**

أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا نتحدث عن الأيتام ؟

اليتيم هو طفل اليوم ورَجل الغد ، وإذا كانت سلوكيات كل إنسان أسيرة توجيهات وُجه بها في صِغره ، فيجب علينا أن نحيط هذا اليتيم بمزيد من الاهتمام والعناية ، فإن اليتيم إذا أخذ حظه من التربية الطيبة والتوجيه السديد ، كان له الأثر الطيب في المجتمع ، وإذا أُهمل هذا اليتيم في صغره ، ونشأ تنشئة سيئة فإنه يكون خطراً على مجتمعه ، ولذلك اهتم القرآن الكريم مكيه ومدنيه بالوصية باليتيم ، من حيث تربيته ، وحُسنِ معاملته ، والمحافظة على ماله ، وعدم امتداد الأيدي إليه إلا بالخير ، وجاءت السنة مؤكدة ومبينة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم والسنة لم يتركا شيئاً دقيقاً يتعلق بأمر اليتيم إلا وبيناه حتى إنهما لم يتركا استدراكاً لأي مستدرك ، ولقد سبق القرآن بذلك كل العلوم الإنسانية الحديثة التي لم تأت إلا بقليل من كثير وغيض من فيض ، وذرة من جبل ، وأين هذه التعاليم

المبتورة القاصرة بجانب تعاليم الحكيم الخبير الذي ما فَرَّط في الكتاب من شيء .[١]

معنى اليتيم لغة وشرعاً :

أولاً : اليتيم لغة : اليتم : الانفراد . واليتيم : الفرد ، والجمع : أيتام ويتامى ويتيمة . واليتم في الناس من قِبل الأب وفي البهائم من قِبل الأم ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع ، واللطيم : الذي يموت أبواه ، وكل شيء مفرد بغير نظيره ، فهو يتيم ، يقال : درة يتيمة

ثانياً : اليتيم شرعاً : هو الصغير الذي فقد أباه .[٢]

متى يزول اسم اليتيم عن الإنسان ؟

إذا بلغ الإنسان الحُلُم

وأصبح قادراً على أن يكسب قوت يومه معتمداً في ذلك على الله تعالى ثم على نفسه ، فقد زال عنه اسم اليتيم

---

(١) (آداب معاملة اليتيم لمحمد مجاهد طبل صـ٥) .

(٢) لسان العرب جـ٦ صـ٤٩٤٨/ مختار الصحاح صـ٧٤١) .

روى أبو داود عن عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ قال :

حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ (١)

روى مسلم عَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ أَنَّ نَجْدَةَ بن عامر

(رجل من الخوارج) كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ خَمْسِ خِلَالٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ كَتَبَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ وجاء في هذه الأسئلة - وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي مَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ فَلَعَمْرِي إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ لِحْيَتُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْأَخْذِ لِنَفْسِهِ ضَعِيفُ الْعَطَاءِ مِنْهَا فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ صَالِحِ مَا يَأْخُذُ النَّاسُ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيُتْمُ. (٢)

---

(١) (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٤٩٧)

(٢) (مسلم حديث ١٨١٢)

معنى كفالة اليتيم :

هي تربيته وتأديبه والقيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن كان لا مال له ، أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى . (١)

وكافل اليتيم : هو القائم بأمره ومصالحه (٢)

لفظ اليتيم في القرآن الكريم :

جاء لفظ اليتيم بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة . (٣)

اقتران توحيد الله بالإحسان إلي الأيتام :

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ

---

(١) الكبائر للذهبي بتحقيق عبد المحسن البزاز صـ٧٢) .
(٢) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١٠ صـ٤٥١)
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن صـ٧٧٠) .

وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)
(النساء:٣٦)

إن هذه الآية المباركة دليل على أن العقيدة لا تكون كاملة في الأمة وتحت عيونهم يتيم قد أهملوه وحرموه العطف والحنان ، وهذا التصرف لا يكون ولا يحدث فعلاً إلا عند نقص العقيدة ونقص العقيدة ينشر الأنانية في الأمة ويجعل كل فرد يهتم بمصلحته الخاصة دون النظر إلي حقوق الآخرين ووجود عقيدة التوحيد يجعل الأمة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . وهذا هو المجتمع المثالي الذي دعا إليه الإسلام ، مجتمع فيه الغني ولكن لا يوجد المحروم ويوجد فيه القوي ولكن لا يوجد المظلوم .[1]

كفالة الأيتام وإصلاح أحوالهم من البر :

قال الله تعالى : لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) آداب معاملة اليتيم لمحمد مجاهد طبل صـ٨٤) .

وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة:١٧٧) .

قال القرطبي : البر هاهنا : اسم جامع للخير .[١]

وقال ابن كثير : اليتامى هم الذين لا كاسب لهم ، وهم ضعفاء صغار دون البلوغ ليس لهم القدرة على التكسب .[٢]

قال الله تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) (البقرة:٨٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٢ صـ٢٤٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢ صـ١٥٧)

قال الإمام القرطبي :

يدل هذا على الرأفة باليتيم والحض على كفالته وحفظ ماله .[١]

قال الله تعالى أيضاً : (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لاعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة:٢٢٠)

روى أبو داودَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) الْآيَةَ انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٢ صـ١٨)

فَإِخْوَانُكُمْ } فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ " [١]

حق الأيتام في أموال الغنائم والفيئ :

جعل الله تعالى لليتامى حقاً في أموال الغنائم والفيئ وذلك حتى يستفيدوا من هذا المال في إصلاح شئون حياتهم ، قال تعالى : وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنفال:٤١) .

الفرق بين الغنائم والفيئ :

الغنائم :

ما أخذه المسلمون بالسعي وإيجاف الخيل من أموال الكفار المحاربين قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو كثيراً [٢]

---

(١) (حديث حسن) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٤٩٥) .
(٢) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٨ صـ١٧)

قال الله تعالى : مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧) .

الفيئ : كل مال دخل على المسلمين بغير حرب مثل أموال يهود بني النضير .[١]

والمقصود باليتامى هنا هم الفقراء منهم ، الذين لا عائل لهم .

الرسول ﷺ يحثنا على كفالة الأيتام :

حثنا نبينا ﷺ على رعاية الأيتام وكفالتهم في كثير من أحاديثه الشريفة وسوف نذكر بعضاً منها : روى البخاري عن سهل بن سعد قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا "[٢]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٨ صـ١٧)

(٢) البخاري حديث ٥٣٠٤)

قال ابن بطال : حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك .(١)

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (٢)

قال الإمام النووي :

قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَافِل الْيَتِيم) الْقَائِم بِأُمُورِهِ مِنْ نَفَقَة وَكِسْوَة وَتَأْدِيب وَتَرْبِيَة وَغَيْر ذَلِكَ ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَة تَحْصُل لِمَنْ كَفَلَهُ مِنْ مَال نَفْسه ، أَوْ مِنْ مَال الْيَتِيم بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّة

وَأَمَّا قَوْله : (لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ) فَالَّذِي لَهُ أَنْ يَكُون قَرِيبًا لَهُ كَجَدِّهِ وَأُمّه وَجَدَّته وَأَخِيهِ وَأُخْته وَعَمّه وَخَاله وَعَمَّته وَخَالَته وَغَيْرهمْ مِنْ أَقَارِبه ، وَالَّذِي لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُون أَجْنَبِيًّا. (٣)

والأجنبي من ليس بينه وبين اليتيم قرابة .

---

(١) فتح الباري لابن حجر جـ١ صـ٤٥١)
(٢) (مسلم حديث ٢٩٨٣)
(٣) (مسلم بشرح النووي جـ٩ صـ٣٣٩: ٣٤٠)

روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْآكِلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١)

روى الشيخان عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلِيَ أَجْرٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى بَنِي أَبِي سَلَمَةَ إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ فَقَالَ أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَلَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ . (٢)

روى الشيخان عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَتْ : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا قَالَ فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللهِ سَلْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنْ الصَّدَقَةِ فَقَالَ سَلِي أَنْتِ

---

(١) البخاري حديث ٢٨٤٢) .

(٢) (البخاري حديث ١٤٦٧) . (مسلم حديث ١٠٠١)

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا سَلْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي وَقُلْنَا لَا تُخْبِرْ بِنَا فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ مَنْ هُمَا قَالَ زَيْنَبُ قَالَ أَيُّ الزَّيَانِبِ قَالَ امْرَأَةُ عَبْدِ اللهِ قَالَ نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ .(١)

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ .(٢)

التحذير من ظلم الأيتام وأكل أموالهم بالباطل

قال الله تعالى :

وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) (الإسراء:٣٤) .

---

(١) (البخاري حديث ١٤٦٦ / مسلم حديث ١٠٠٠) .
(٢) (مسلم حديث ٢٥٢٧)

قال الله تعالى : وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً) (النساء:٢)

سبب نزول هذه الآية : قال القرطبي رحمه الله : نزلت في قول مقاتل والكلبي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فنزلت فقال العم : نعوذ بالله من الحوب الكبير : ورد المال .فقال النبي ﷺ من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره " يعني جنته .[1]

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية :

يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحُلُم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضَمِّها إلى أموالهم؛ ولهذا قال: (وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)

قال سفيان الثوري ، عن أبي صالح: لا تعْجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدر لك.

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٥ صـ١٣**

وقال سعيد بن جبير:

لا تبَـدَّلوا الحـرام مـن أمـوال النـاس بـالحلال مـن أموالكم، يقول: لا تبذروا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام.

وقال سعيد بن المسيَب والزهري: لا تُعْط مهزولا وتأخذ سمينا.

وقال إبراهيم النخعي والضحاك: لا تعط زائفًا وتأخذ جيدًا.

وقال السُـدُي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غَنم اليتيم، ويجعل فيها مكانها الشاة المهزولة، ويقول شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجَيِّد ويطرح مكانه الزّيْف، ويقول: درهم بدرهم.[1]

وقفة مهمة : نبهنا الله تعالى إلى شيء خطير قد يتسرب إلي النفوس وهو أن الوصي قد يعطي اليتيم من ماله الخبيث ويأخذ مكانه مال اليتيم الطيب ويعتقد أنه قد أدى ما عليه . فقال سبحانه : وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً) (النساء:٢)

---

(١) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ صـ٣٣٦)

قال الله تعالى: وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً) (النساء:٦) .

سبب نزول هذه الآية :

روى البخاري عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا { وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } قَالَتْ أُنْزِلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيمِ أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا بِقَدْرِ مَالِهِ بِالْمَعْرُوف . [1]

كيفية الأخذ بالمعروف من أموال الأيتام :

للعلماء في صفة الأكل بالمعروف من أموال اليتامى : أربعة أقوال :

(١) الأخذ من مال اليتيم على سبيل القرض الحسن

(٢) الأخذ من مال اليتيم بقدر الحاجة من غير إسراف

---

(١) (**البخاري حديث ٢٧٦٥**)

(٣) الأخذ من مال اليتيم بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً .

(٤) الأخذ من مال اليتيم عند الضرورة فإذا أيسر ورزقه الله بالمال قضى هذا الدين لليتيم ، وإذا لم يُوسر فهو في حِل .[١]

. روى ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا أَجِدُ شَيْئًا وَلَيْسَ لِي مَالٌ وَلِي يَتِيمٌ لَهُ مَالٌ قَالَ كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ مَالًا قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَلَا تَقِي مَالَكَ بِمَالِهِ . (ولا متأثل : أى و لا متخذ من أصل ماله للتجارة ونحوها)[٢]

روى مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ .[٣]

---

(١) (زاد المسير لابن الجوزي جـ٢ صـ١٦)
(٢) (حديث حسن صحيح) (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢١٩٨)
(٣) (مسلم حديث ١٨٢٦)

قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) (النساء:١٠)

قال السدي يُبعثُ آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه ، يعرف كل رآه بآكل مال اليتيم. (١)

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ . (٢)

كفالة زكريا ﷺ لمريم عليها السلام :

قال الله تعالى : إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *

---

(١) (تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٣٦٦)
(٢) (البخاري حديث ٢٧٦٦)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران: ٣٥:٣٧)

يخبرنا الله تعالى أن تقبل مريم ابنة عمران ، التي نذرتها أمها لعباده الله تعالى وخدمة المسجد الأقصى ، فأنبتها نباتاً حسناً ، حيث جعل لها شكلاً مليحاً ومنظر بهيجاً ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم العلم والخير والدين ، جعلها الله تعالى في كفالة زكريا ﷺ وذلك لأن مريم كانت يتيمة ، وذلك لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً ، لأنه كان زوج خالتها ، وقيل أنه كان زوج أختها ، وقد قام زكريا بكفالة مريم ورعايتها خير قيام .[1]

نبينا محمد ﷺ خير الأيتام المكفولين :

إن في سيرة نبينا محمد ﷺ ما تطيب به قلوب الأيتام في كل مكان وزمان فقد مات أبوه قبل أن يُولد ،

(١) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٤ صـ٧٦) (تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٥٢)

فنشأ رسول الله ﷺ في كفالة جده عبد المطلب فنال من رعاية جده ما عوضه عن فقد أبيه . فلما مات جده وكان عمر النبي ﷺ ثماني سنوات كفله عمه أبو طالب وضمه إلي أولاده ، وقدمه عليهم واختصه بفضل واحترام ، فكان أبو طالب لا ينام إلا ورسول الله ﷺ إلي جواره ، وكان كثيراً ما يصطحبه في أسفاره . لقد كانت العرب تعرف ذلك وتتحدث به وتعرف وفاء رسول الله ﷺ لمن قام بكفالته ، وَفْدُ ذكر ابن هشام في سيرته ذلك عندما من الرسول ﷺ على أسرى قبيلة هوازن بالعفو ، حيث قال : جاء وفد هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللهّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ سَبْيِ هَوَازِنَ سِتّةُ آلَافٍ مِنْ الذّرَارِيّ وَالنّسَاءِ وَمِنْ الْإِبِلِ وَالشّاءِ مَا لَا يُدْرَى مَا عِدّتُهُ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ عَبْدِ اللهّ بْنِ عَمْرٍو : أَنّ وَفْدَ هَوَازِنَ أَتَوْا رَسُولَ اللهّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ أَسْلَمُوا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهّ إنّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا ، مَنّ اللهُ عَلَيْك . قَالَ وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ ، ثُمّ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ،

يُقَالُ لَهُ زُهَيْرٌ يُكْنَى أَبَا صُرَدٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا فِي الْحَظَائِرِ عَمَّاتُك كُنَّ يَكْفُلْنَك ، وَلَوْ أَنَّا مَلَحْنَا (أرضعنا) لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ ، أَوْ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا بِمِثْلِ الَّذِي نَزَلْت بِهِ رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ، بَلْ تَرُدُّ إلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَهُوَ أَحَبُّ إلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُمْ أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْت الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا : إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إلَى رَسُولِ اللهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا ، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ . فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ

صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ أَمّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا . وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ أَمَا أَنَا وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا . وَقَالَ عَبّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَمّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا . فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ : بَلَى ، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . قَالَ يَقُولُ عَبّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ وَهّنْتُمُونِي . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمّا مَنْ تَمَسّكَ مِنْكُمْ بِحَقّهِ مِنْ هَذَا السّبْيِ فَرَائِضَ مِنْ أَوّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ فَرَدّوا إلَى النّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.(١)

نبينا ﷺ خير من كفل الأيتام :

كان رسول الله ﷺ يتزوج الأرامل ومن في رعايتهن أيتام وذلك من أجل القيام عليهن وعلى مصالح أولادهن كما حدث عندما تزوج النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها . وكان أولادها ، عمر وسلمة وزينب ودرة ، أيتام في حجر النبي ﷺ قام بكفالتهم وأحسن رعايتهم .

---

(١) (سيرة ابن هشام جـ١ صـ١٤٩/جـ٤ صـ١١٦: ١١٧)

روى مسلم عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ . (١)

روى أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ فَإِنْ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَتَى خَبَرُهُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ

(١) (مسلم حديث ٢٠٢٢)

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ فَأَمْهَلَ ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ ادْعُوا لِي ابْنَيْ أَخِي قَالَ فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ فَقَالَ ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَّاقَ فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا ثُمَّ قَالَ أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا (أى رفعها) فَقَالَ اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ قَالَ فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ (تغتم) فَقَالَ الْعَيْلَةَ (الفقر والحاجة) تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [1]

اهتمام الصحابة بالأيتام :

لقد اهتم أصحاب نبينا محمد ﷺ اهتماماً كبيراً بالأيتام ، اقتداءً بنبينا محمد ﷺ وسوف نذكر بعضاً منهم :

(١) **عمر بن الخطاب** : روى البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ

(١) (حديث إسناد الصحيح) (مسند أحمد جـ٣ صـ٢٧٩ رقم١٧٥٠)

امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمْ الضَّبُعُ (السنوات المجدبة) وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ (بعير قوي) كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا قَالَ عُمَرُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ .[1]

(١) (صحيح البخاري حديث ٤١٦٠)

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب :

روى البخاريُّ (في الأدب المفرد)

عن أبي بكر بن حفص أن عبد الله بن عمر ،رضي الله عنهما، كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خِوانه (مائدته) يتيم .[١]

(٣) أبو بَرزة الأسلمي :

روى ابن سعد عن الحسن بن حكيم قال

حدثتنى أمي أنه كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوة وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين.[٢]

تقوى الآباء تحفظ الأبناء :

إن الكثير من الناس ،إلا من عصم الله ،

يعتقدون أن تأمين مستقبل أبنائهم بعد موتهم إنما يكون بتوفير المال وبناء العمارات واقتناء السيارات ، فيحرصون على جمع المال من الحلال

---

(١) (**حديث صحيح**) (**صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ١٠٢**)

(٢) (**الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٤ صـ ٢٢٤**)

ومن الحرام ، ويهملون تربية أبنائهم على ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فتكون هذه الأموال التي جمعوها من أجل أبنائهم وبالاً على هؤلاء الأبناء في الدنيا والآخرة . ويجب أن يعلم الناس أن السبيل الوحيد لتأمين مستقبل الأبناء هو تقوى الله عز وجل في السر والعلانية . قال الله عز وجل في كتابه العزيز :)وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) (النساء:٩)

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

وهذه الآية قد اختلف العلماء في تأويلها، فقالت طائفة: هذا وعظ للأوصياء، أي افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم، قاله ابن عباس.ولهذا قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)

(**النساء**:١٠)

وقالت طائفة:

المراد جميع الناس، أمرهم باتقاء الله في الأيتام وأولاد الناس، وإن لم يكونوا في حجورهم. وأن يشددوا لهم القول كما يريد كل واحد منهم أن يفعل بولده بعده.[1]

الله تعالى يحفظ كنز الأيتام :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز مثالاً لتقوى الآباء التي كانت سبباً في حفظ الأبناء ليكون نبراساً يسير على هديه المسلمون ، قال الله تعالى :)وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)

(الكهف:٨٢)

---

(١) (**الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٥ صـ٥٦**) .

قال ابن كثير_ رحمه الله :

وقوله(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلي أعلى درجة في الجنة ، لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ، ووردت به السنة قال ابن عباس : حُفظاً بصلاح أبيهما ، ولم يُذكر صلاحاً .(١)

أولاد عمر بن عبد العزيز :

لما حضرت الوفاةُ عمَر بن عبد العزيز ، قال له بعض الناس : هؤلاء بنوك ، وكانوا اثنى عشر ، ألا توصي لهم بشيء ، إنهم فقراء . فقال :(إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (لأعراف:١٩٦)

والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين رجلين ، إما صالح ، فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، أفأدع له ما يستعين به على معصية الله ،

---

(١) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٩ صـ١٧٩)

فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت ، ما كنت لأفعل ، ثم استدعى أولاده فودعهم وأوصاهم بهذا الكلام ، ثم قال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم .

قال بعض من حضر هذا الموقف : لقد رأينا بعض من أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله . (١)

انظر أخي الكريم : إلى حُسنِ عاقبة من وَكَلَ أولاده بعد موته لله تعالى

شفاعة يتيم لرجل عاص :

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى : حُكي عن بعض السلف قال : كنت في بداية أمري مكباً على المعاصي وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده ، بل أكثر ، فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قامت ودعيت إلي الحساب ، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي ،

---

(١) (**البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ صـ٢١٨**)

فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلي النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحباً إلي النار ، وإذا ذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلي ربي ، فإنه قد أحسن إلي وأكرمني ، فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قِبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه ، قال : فاستيقظت وتبت إلي الله عز وجل وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلي الأيتام .(١)

مشاعر الأيتام في الأعياد :

ليسأل كل منا نفسه كيف يكون شعور الأيتام عندما يدخل عليهم بعض إخوانهم وهم يحملون لهم الطعام والشراب والكساء الجديد في المناسبات السارة كالعيدين ؟! وكيف يكون شعورهم عندما يدخل عليهم بعض المسلمين بملابس وأغطية تقيهم برد الشتاء القارس ؟!

---

(١) الكبائر للذهبي بتحقيق عبد المحسن البزاز صـ٧٣)

كيف نعامل الأيتام ؟

يجب أن نعامل اليتامى كما نحب أن يعامل الناس أبناءنا بعد موتنا ورحيلنا عن الدنيا . روى أبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو يبلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ . (١)

روى البخاريُّ(في الأدب المفرد) عن عبد الرحمن بن أَبْزَى قال : قال داودُ عليه السلام (كُنَّ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ، مَا أَقْبَحَ الْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ الضلالةُ بَعْدَ الهُدى، وَإِذَا وعدتَ صاحِبَك فَأَنْجِزْ لَهُ مَا وعدتَّهُ. فَإِنْ لَا تَفْعل يُؤرِثُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِّ مِنْ صَاحِبٍ إِنْ ذكرتَ لَمْ يُعِنْك وَإِنْ نسيتَ لَمْ يُذَكِّرك) (٢)

---

(١) (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١٣٢)

(٢) (حديث صحيح) (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ١٠٣)

روى البخاري في الأدب المفرد عن أسماء بن عبيد قال : قلت لابن سيرين : عندى يتيم فقال : اصنع به ما تصنع بولدك اضُربه كما تضرب ولدك . (١)

روى البخاري في الأدب المفرد عن شُميسة العتكية قالت :

ذُكر أدب اليتيم عند عائشة رضي الله عنها فقالت : إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط . (٢)

كيف نكفل الأيتام ؟

اعلم أخي الكريم أنه ليس المقصود بكفالة الأيتام الاهتمام بتربية اليتيم التربية الجسدية ، وذلك بتوفير الطعام والشراب والكساء والمسكن فقط ولكن المقصود هو تربية اليتيم عقائدياً وروحياً وأخلاقياً أيضاً في ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ حتى يصبح هذا اليتيم عضواً صالحاً في المجتمع المسلم .

---

(١) (**حديث صحيح**) (**صحيح الأدب المفرد حديث** ١٠٤ .
(٢) **حديث صحيح**) (**صحيح الأدب المفرد للألباني حديث** ١٠٥)

ويمكن أن نوجز التربية المثالية لليتيم فيما يلي :

(١) تعليمه العقيدة الصحيحة وهي أساس كل شيئ .

(٢) إرشاده إلي إخلاص العمل لله تعالى والمواظبة على ذكره .

(٣) تعليمه حُسن تلاوة القرآن الكريم وحفظه والعمل به .

(٤) تعليمه الصلاة وأحكامها وباقي أركان الإسلام والحلال والحرام .

(٥) تذكيره بسيرة النبي ﷺ والسلف الصالح رضوان الله عليهم .

(٦) تعليمه حقوق المسلمين عليه وإرشاده إلى اختيار الرفقة الصالحة الطيبة .

(٧) إرشاده إلى كيفية الدعوة لنشر دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٨) إرشاده إلى حُسْنِ الخُلُق والبعد عن المعاصي ومنكرات الأخلاق .

أمهات مثاليات الأيتام :

إن كتب التاريخ مملوءة بنماذج رائعة لنساء مات أزواجهن فقمن على تربية أبنائهن خير قيام وأزالت عن أبناءها مرارة اليتم ، فقامت بدور الأب إلي دور الأم وزودت أبناءها بأحسن التوجيهات حتى كان منهم من ملأ الدنيا علماً ،

وسوف نذكر بعضاً من هذه النماذج المشرقة :

(١) **تماضر بنت عمرو السلمية (الخنساء) :**

لما استعد المسلمون لمعركة القادسية ، دعت تُماضر بنت عمرو السلمية أولادها الأربعة وحثتهم على الجهاد في سبيل الله وحذرتهم من الفرار من أرض المعركة ، فقالت : يا بني : إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنوا رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، والله ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا غيرت نسبكم ، فإذا كان غداً إن شاء الله ، فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله ،

فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها ، وقد ضربت رواقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا خميسها ، تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فانصرف الفتية الأربعة من عندها ، وهم لأمرها طائعون ، وبنصحها عارفون، فلما أصبحوا ذهبوا إلي ميدان المعركة وأبلوا بلاءً حسناً حتى استشهدوا جميعاً ، فلما بلغ الخنساء خبر استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء بنت عمرو خراج أولادها الأربعة حتى مات . [1]

(١) (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ٤ صـ٣٨٥: صـ٣٨٧
(الإصابة لابن حجر جـ٤ صـ٢٤٠: ٢٨١)

(٢)أم سفيان الثوري : قال وكيع بن الجراح :

قالت أم سفيان الثوري لسفيان :

يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي . وقالت : يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك . [١]

(٣) أم محمد بن إدريس الشافعي :

وُلد الإمام الشافعي بغزة ومات أبوه إدريس شاباً فنشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه فحفظ القرآن وهوا ابن سبع سنين وحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين وطلب العلم حتى أصبح مذهبه أحد المذاهب الأربعة المشهورة .[٢]

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي جـ٣ صـ١٨٩)

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٢ صـ٦: ١١)

(٤) أم أحمد بن حنبل :

كان والد أحمد بن حنبل من أجناد مَرو ، مات شاباً وله نحو من ثلاثين سنة ، فقامت أم أحمد على تربيته وحثته على حفظ القرآن وطلب الحديث ، فطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان عدد شيخوخة الذين روى عنهم في المسند أكثر من مائتين وثمانين شيخاً .روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . والإمام أحمد صاحب أحد المذاهب الأربعة المشهورة .[1]

(٥) أم محمد بن إسماعيل البخاري :

مات والد البخاري وهو صغير فنشأ في حجر أمه وفقد بصره وهو صغير ، فرأت أمه الخليل إبراهيم ﷺ في المنام يخبرها بأن الله رد على البخاري بصره لكثرة دعائها له ، فاهتمت به أمه اهتماماً كبيراً وألهمه اللهُ تعالى حِفْظَ الحديث وعمره عشر سنوات ، ولما بلغ

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ١١ صـ١٧٧ : ١٨٣)

السادسة عشرة خرج حاجاً مع أمه وأخيه ، وبعد أداء الحج تخلف بمكة في طلب الحديث ، وفي سن الثامنة عشرة صنف في قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم وكان للبخاري أكثر من ألف شيخ وجمع كتابه الصحيح من ستمائة ألف حديث مسموعة . (١)

*****

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين ،

وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

والتابعين لهم إلى يوم الدين .

(١) (سير أعلام النبلاء جـ١٢ صـ٣٩١: ٤١٥)

فهرس الموضوعات

التقديم ٤
لماذا تحدث عن الأيتام ؟..... ٨
معنى اليتيم و متى يزول اسم اليتيم عن الإنسان ؟..... ٩
اقتران توحيد الله تعالى بالإحسان إلي الأيتام ١١
كفالة الأيتام وإصلاح أحوالهم من البر..... ١٢
حق الأيتام في أموال الغنائم والفيئ ١٥
نبينا ﷺ يحثنا على كفالة الأيتام ١٦
التحذير من ظلم الأيتام وأكل أموالهم بالباطل ١٩
كيف نأخذ بالمعروف من أموال الأيتام ؟ ٢٢
كفالة زكريا ﷺ لمريم عليها السلام..... ٢٤
نبينا ﷺ خير الأيتام المكفولين..... ٢٥
نبينا ﷺ خير من كفل الأيتام..... ٢٨
اهتمام الصحابة بالأيتام..... ٣٠
تقوى الآباء تحفظ الأبناء..... ٣٢
الله يحفظ كنز الأيتام ٣٤
أولاد عمر بن عبد العزيز ٣٥
شفاعة يتيم لرجل عاص ٣٦
مشاعر الأيتام في الأعياد ٣٧
كيف نكفل الأيتام ؟..... ٣٩
أمهات مثاليات لأيتام ٤